المجوس في أوروبا

« اذا مجوس من المشرق يتقدمهم نجم . . ولما رأوا الطفل خرّوا وسجدوا له »

يا مجوسَ الشرقِ ، هلْ طوّفتمُ
في غمرة البحر إلى أرض الحضاره
لِتَرَوا أيَّ إلـهٍ
يتجلّى من جديد في المغاره؟
مِنْ هنا الدربُ ، هنا النجمُ
هنا زادُ المسافرْ . . !
...
ساقنا النجمُ المغامرْ
عَبْرَ باريسَ . . ، بَلَونا صومعاتِ الفِكر
عفنا الفكرَ في عيد المَساخرْ ،
وَبِرُوما غطّتِ النجمَ ، محتهُ
شهوةُ الكهّانِ في جمر المباخرْ ،
ثم ضيّعناهُ في لندنَ ضعنا
في ضباب الفحم ، في لغز التجاره
ليلةَ الميلادِ ، لا نجمَ
ولا إيمانَ أطفالٍ بطفلٍ ومغاره .
...
ليلةَ الميلادِ ، نصفَ الليل ، . . ضيقٌ
شارعٌ يفرغُ . . ضحكاتٌ حزينه
وانحدرنا في الدهاليز اللعينه
لِمَغَارات المدينه ،
أعينٌ ترتدُّ عن باب لبابٍ ،
أعينٌ نسألُها : أينَ المغاره ؟
واهتدينا بسراجٍ أحمرِ الضوءِ لبابٍ
حُفِرتْ فيه عباره :
« جنةُ الأرض ! هنا لا حيّةٌ تُغْوي ،
ولا دَيّانَ يرعى بالحجاره
ها هنا الوردُ بلا شوكٍ
هنا العُري طهاره . . ! »
إخلعوا هذي الوجوهَ المستعاره
سُلِخَتْ من جلدِ حِرْباءٍ كريهْ ،
ـ نحن لم نخلعْ ولم نلبسْ وجوهْ
نحنُ من بيروتَ ، مأساةٌ ، وُلِدْنا
بوجوهٍ وعقولٍ مُستعاره
تُولَدُ الفكرةُ في « السوق » بَغِيّاً
ثم تقضي العمرَ في لفقِ البكاره
ـ « إخلعوا هذي الوجوهَ المستعاره »
...
ودخلنا مثلَ مَنْ يدخلُ
في ليلِ المقابرْ
أُوقدتْ نارٌ ، وأجسامٌ تلوّتْ ،
رقصةُ النارِ على ألحانِ ساحرْ ،
فاستحالتْ عَتَماتُ السقفِ
بلّوراً ، ثريّاتٍ ، وَزُرْقَهْ
واستحالَ العفنُ الجاري
على الجدران خمراً ، . . ذَهَباً وحلُ الأزقّهْ
وجسومٌ حلّ فيها الخمرُ ، صفّاها ،
جسومٌ لم تعدْ طيناً وماءْ ،
واتحدنا عَصَباً ، قلباً ، دماءْ
...
« أنتمُ في جنةِ الأرضِ . . ،
صلاةٌ . . ! إنّ في الأرضِ السماءْ »
وَرَكَعْنا خُشّعاً للكيمياءْ
وَلِساحرْ
كوّرَ الجنةَ من ليل المقابرْ
وعبدناهُ إلهاً يتجلّى في المغاره :
يا إلـهَ المُتْعبينْ
يا إلهَ الضائعينْ
يا إلهاً هارباً من صرعةِ الشمسِ
ومن رُعْبِ اليقينْ
يتخفّى في المغاره
في كهوف العالم السفليّ
من أرضِ الحضاره . (*)

كمبردج ـ انكلترا **خليل حاوي**

(★) من مجموعة « نهر الرمـاد » التي ستصدر قريباً .